Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Cultural Trends in Hanin Al-Sayegh's Novel "The Women's Charter"

Saman Jalil Ibrahim

Arabic Department-College of Languages and Human Sciences-University of Garmian-Kurdistan Region , Iraq.

Article information

Received : 25/3/2025

Revised : 6/4/2025

Accepted : 10/4/2025

Published 1/6/2025

Keywords

Patterns, Druze, religion, social, imposed heritage, rebellion, female

Correspondence:

Saman Jalil Ibrahim

saman.jalil@garmian.edu.krd

Abstract

The goal of this study, "Cultural Patterns in the Novel" Women's Charter by Haneen Sayegh, is to uncover a set of Druze cultural patterns through feminist biblical experience. These patterns are what gave the Novel its richness in details and phenomena, which the author expressed through the female character "Amal bunmer" in the text's narrative scenes.

To achieve the goals, we divided the research into an introduction, a preface and four sections, the introduction focused on the reasons for choosing this novel, and the preface contained "the Druze community according to the perceptions of thought and belief," and the first section dealt with "imposed cultural patterns of religion," and the second section included " imposed social patterns that exist in society." The third section dealt with" rebellion against the imposed "religious and social" systems in society, "and the fourth section included" proving oneself and its vulnerability to social variables, " and we followed up our research with a conclusion that included a set of findings, and a list of sources and references approved in the research.

As one of the comprehensive modern approaches that profited from other methods, this research picked cultural criticism as its method. It takes culture as its subject and prepares texts as cultural discourse rather than reading them as literary and aesthetic cases.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الأنساق الثقافيَّة في رواية " ميثاق النساء " لحنين الصَّايغ

سامان جليل إبراهيم

قسم اللغة العربية _ كلية اللغات والعلوم الإنسانية _ جامعة كرميان _ إقليم كوردستان _ العراق

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٥/٣/٢٥

تاريخ المراجعة : ٢٠٢٥/٤/٦

تاريخ القبول : ٢٠٢٥/٤/١٠

تاريخ النشر : ٢٠٢٥/٦/١

الكلمات المفتاحية :

الأنساق ، الدرزيّ ، الدين ، الاجتماعية ، القارة ، التمرد ، الأنثى

معلومات الاتصال

سامان جليل إبراهيم

saman.jalil@garmian.edu.krd

الملخص

يسعى هذا البحث المعنون بـ " الأنساق الثقافيَّة في رواية " ميثاق النساء " لحنين الصَّايغ "، من خلال التجربة الكتابية النسوية إلى أن يكشف عن مجموعة من الأنساق الثقافية للمجتمع " الدرزيّ " ، تلك الأنساق التي جعلت الرواية تزخر بتفاصيلها وظواهرها عبّرتْ عنها الروائية بلسان الشخصية الأنثوية " أمل بونمر " في ثنايا المشاهد السردية لمتن النص .

ولبلوغ المرامي قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث ، وقفت المقدمة على مسوغات اختيار هذه الرواية ، واحتوى التمهيد على " المجتمع الدرزيّ وفق تصورات الفكر والمعتقد " ، وتطرق المبحث الأول إلى " أنساق الدين الثقافية القارة " ، واشتمل المبحث الثاني على " الأنساق الاجتماعية القارة في المجتمع " ، وتناول المبحث الثالث " التمرد على الأنساق القارة " الدينية والاجتماعية " في المجتمع " ، وتضمَّن المبحث الرابع " إثبات الذات وضعفها تجاه المتغيرات الاجتماعية " ، وأردفنا بحثنا بخاتمة ضمت مجموعة من النتائج المتوصل إليها ، وقائمة للمصادر والمراجع المعتمدة في البحث .

اختار هذا البحث النقد الثقافي منهجاً له ؛ بوصفه واحداً من المناهج الحديثة الشاملة التي افادت من المناهج الأخرى ، وهو منهج يتخذ من الثقافة موضوعاً له ؛ فهو لا يقرأ النصوص بوصفها حالة أدبية وجمالية ، بل يعدُّها خطاباً ثقافياً.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مُقدّمة

إنَّ رواية " ميثاق النساء " للروائية اللبنانية " حنين الصَّايغ " من الروايات العربية التي تأهلت حديثاً للقائمة القصيرة للجائزة الدولية للرواية العربية " جائزة البوكر " لعام ٢٠٢٥ م ، وهي واحدة من الروايات التي حظيت باهتمام القراء والمشتغلين بمجال النقد الثقافي ؛ كونها تمثل محاولة للغوص في المجتمع " الدرزيّ "

المعاصر وتفكيكه اجتماعياً ودينياً وثقافياً ، ذلك المجتمع الذي ينهض بخلفيات ثقافية خاصة في محيطها الاجتماعي وهي تشكل هوية المجتمع.

ولعلنا نستطيع أن نثبت أهم الأسباب التي جعلتنا نختار هذه المدونة السردية ، نذكر من أهمها :

أولاً : إنَّ هذه الرواية من الروايات التي تمتليءُ بالعلامات التي تعجُّ بالإحالات الثقافية والحضارية المتنوعة للمجتمع .

ثانياً : اللقطات المشهدية للمتن السردي مشحونة بالمكونات الثقافية المصاحبة لنزعة التحولات الاجتماعية التي تعيشها الأنثى في المجتمع " الدرزيّ " .

ثالثاً : التعرف على الهُوية الثقافية للخطاب الروائي المكتوب عن المجتمع " الدرزيّ " في بعديه الإنساني والرمزي محاولين الكشف عن طبيعة الأنساق الثقافية داخل المجتمع .

رابعاً : البحث عن خصوصية التجربة الأنثوية في مجال الكتابة لا سيَّما ذاتها المتحررة فكراً وشعوراً وإدراكاً للعالم الخارجي .

ولما كان البحث يدور حول الأنساق الثقافية في رواية " **ميثاق النساء** " فقد اتجه إلى التركيز على رصد المكونات الثقافية ومالها من أثر في تكوين وعي الأنثى السردية بمحيطها البيئي ، وبهذا فهو يعمد إلى توظيف آليات النقد الثقافي التي تمنح القارئ فرصة التوغل في خبايا التراكيب والبنى الثقافية المختلفة .

ومن أجل الوصول إلى قراءة تمكننا من دراسة هذه الرواية اتبعنا خطة منهجية احتوت على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث ، ففي المقدمة تطرقنا لأهم الأسباب التي جعلتنا ندرس هذه الرواية ، وضمَّ التمهيد " **المجتمع الدرزيّ وفق تصورات الفكر والمعتقد** " ، أما المبحث الأول فقد حمل عنوان " **أنساق الدين الثقافية القارة** " ، وقدَّم المبحث الثاني " **الأنساق الاجتماعية القارة في المجتمع** " ، وتضمَّن المبحث الثالث " **التمرد على الأنساق القارة " الدينية والاجتماعية " في المجتمع** " ، ووقف المبحث الرابع على " **إثبات الذات وضعفها تجاه المتغيرات الاجتماعية** " ، وفي الأخير اختتم البحث بخاتمة لخصّنا فيها أهم الأفكار والنتائج التي توصلنا إليها ، وقائمة بالمصادر والمراجع التي كانت لي خير معين في هذا البحث .

التمهيد : المجتمع الدرزيّ وفق تصورات الفكر والمعتقد .

الدروز عرب خُلّص ، فهم من لخم وتنوخ ، وهما قبيلتان عربيتان لكل منهما ماضٍ مشرق ، وان لم يكن كل أبناء القبيلتين ممن اعتنقوا المبادئ الدرزيّة ، إنهم يسكنون في سورية بمحافظة السويداء ، جبل حوران أو جبل الدروز أو جبل العرب كما يقال له ، ويعيش منهم في هذه المنطقة أكثر من ثلاث وسبعين قرية ، ويسكنون بعض مناطق جبال لبنان مثل مناطق الشوف والمتن والجنوب ، وفي فلسطين عند جبل الكرمل وطبرية وصفد وعكا (أبو إسماعيل ، ١٩٥٢ : ٤٣ – ٤٤) .

كما أنهم يمثلون " فرقة إسماعيلية اتسمت بطابع الباطنية حيث أخفوا عقيدتهم عن غيرهم من الفرق الإسلامية ، وقد نشؤوا في أبان العصر الفاطمي ، وظلوا منطوين على أنفسهم ، وينأون بعقيدتهم أن تذاع ، ويحرصون على اعتقاداتهم أن تشيع وتعرف بين الناس " (الشكعة ، ١٩٩١ : ٢٥٩) ، فالدروز لهم " تنظيمات طبقية حيث ينقسمون إلى طبقتين : الأولى طبقة الروحانيين ، وهم رجال الدين الملمين بأصول المذهب ، وهم الرؤساء والعقال والأجاويد ، وأما الطبقة الثانية فهي طبقة الجثمانيين ، وتنقسم إلى أمراء وعامة أو جهال " (الشكعة ، ١٩٩١ : ٣٠٧) .

والنظام الاجتماعي السائد للمجتمع الدرزيّ هو " النظام الإقطاعي الريفي الذي كانوا عليه منذ قرون عديدة ، فالقرى خاضعة لشيخ القرية ، الذي يختاره الأمير ، وشيوخ القرى خاضعون للأمراء الذين يتوارثون الإمارة ، والجميع خاضعون للنظام الثيوقراطي القديم ولذلك يأبى الدروز منذ عصورهم الأولى أن يخضعوا إلا لمشايخهم فقط ولا يعترفون بسلطة أحد سوى أمرائهم" (حسين ، ١٩٦٢ : ٣١) ، كذلك لهم في دائرة مجتمعهم الاجتماعي " قضاة منهم يحكمون دائماً حسب الشريعة والتقاليد الإسلامية إلا أنهم في بعض المسائل الخاصة يحكمون حسب التقاليد الدرزيّة " (حسين ، ١٩٦٢ : ٣٢) ، لذلك " تستند الاحكام التي تسود قضايا الأحوال الشخصية للطائفة الدرزيّة إلى التقاليد الدرزيّة والامتيازات المذهبية المعترف بها رسمياً والمعمول بها منذ القدم " (النكدي وآخرون ، ١٩٦٢ : ٧٥) .

وإنَّ للمجتمع الدرزيّ مظاهر اجتماعية خاصة " لا يقبل الدروز أحداً في مجتمعهم ولا يسمحون بالخروج منه ، وحتى هؤلاء الذين يخرجون لا يعترف الدروز بأنهم قد خرجوا ، ولذلك فإن عدد الدروز في ظل هذه النظرية ونظرية التقمص لا يزيد ولا ينقص " (الشكعة ، ١٩٩١ : ٣١٤) ، وبهذا " لا يجوز زواج الدرزيّة من غير الدرزيّ ، ولا زواج الدرزيّ من غير الدرزيّة فإذا حدث زواج من هذا القبيل فإنه يكون باطلاً ، ولا يجوز تعدد الزوجات ، بل يجب الاقتصار على زوجة واحدة " (الشكعة ، ١٩٩١ : ٣١٦) .

المبحث الأول : أنساق الدين الثقافية القارة .

النسق الديني يمثل أحد أهم العناصر المكونة للوعي الاجتماعي منذ وجود الإنسان على الأرض وحتى اليوم ، فهو يشغل مساحة واسعة في متون الرواية العربية المعاصرة ، بعدّه عاكساً للثقافة العربية ومشخصاً للمنظومة الفكرية التي ينتجها أفراد المجتمع ، الذين يفسحون للدين مجالاً واسعاً في حياتهم كتعبير عن الثوابت الفكرية والاجتماعية ، فالتوجهات الدينية تمثل المحور الأساس لأغلب ممارسات الفرد داخل مجتمعه ، وبهذا يمثل الدين النسق الثقافي الفاعل من بين الأنساق الثقافية الأخرى التي تعكس المنظومة الفكرية للمجتمع ، فالدين ظاهرة ملازمة للإنسان حيثما وجد ، لذلك يمكن لنا أن نعرّف الدين بانه عبارة عن " استرضاء أو استمالة قوى تفوق قوى الإنسان يعتقد أنها توجه وتتحكم بسير أمور الطبيعة والحياة البشرية ، ويتشكل الدين من عنصرين هما العنصر النظري هو الإيمان بالقوى العليا والعنصر العملي وهو محاولة إرضاء تلك القوى " (فرايز، ٢٠١٤ : ٧٩) ،

وبهذا نجد أَن حضور الدين نسقاً في هذه الرواية تجّلى بشكل كبير في ما حملته كلّ سلوكيات وآراء الشخصيات والأحداث لزوايا هذا العمل الروائي ، إذ يقول السارد : " **أنا أعلم أنَّكِ متفوّقةٌ وتحبّين المدرسة ، لكنْ لا بدَّ أن تعلمي أيضاً أنّي لا أستطيع أن أسجّلك في الجامعة . تسطيعين إكمال تعليمك حتى تحصلي على الشهادة الثانويَّة . ولكنْ هذه ستكون آخر محطَّةٍ لكِ كما حدث مع أخواتك . فالرجل الذي يرتدي زيّ الدين لا بدَّ أن يعمل بمشورة المشايخ ، وعندنا ممنوع على البنات أن يدخلن الجامعات ويذهبن وحدهنَّ إلى المدن .**

تمهَّل محاولاً تخفيف حدَّة ما قاله :

أكرّر مرَّةً أخرى ، أنا لا اقول هذا الكلام لأضغط عليكِ بشأن الزواج . ليست لديَّ مشكلةٌ على الإطلاق أن تقضي عمرك كلّه معنا . هذا بيتك بالنهاية ، وتستطيعين أن تعيشي معنا لتساعدي أمّك في شغل البيت وتؤنسينا ، ولكنْ عليكِ أن تنسي أمر التعليم تماماً .

هززت رأسي ليفهم أنَّني سمعته ، ولم أتفوّه بعدها بكلمة . استدار في غصون ثوانٍ ، وغادر إلى خلوة المشايخ كأنَّه لم يتوقَّع منّي ردّاً أو نقاشاً .

لا أستطيع أن أقول إنّي صُدمت بكلامه ، فهو لم يتحفني بجديد . بل كنت في أعماقي ممتنَّةً لقبوله بإنهاء تعليمي الثانويّ ؛ وهذا الامتنان يعود إلى حادثةٍ قديمة ما زلت أتذكَّرها كأنَّها حدثت البارحة . تذكَّرت حين وصلت إلى البيت وجدت شقيقتي الكبرى نرمين تنتحب في فِناء البيت ، وسمعت صراخ أبي من المطبخ : خلص بيكفّيهن علم ... ثم عاد يصرخ : شو بدُّو ينفعها العلم ! آخرتها عالزواج ... شاهدته يفقد صوابه ويستخدم حزامه لينهال على نرمين بالضرب " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ١٦ – ١٨) .

نلحظ أن النسق الديني في هذا النص يهيمن على الشخصية الذكورية " الأب " وهو يمنع الشخصية الأنثوية " أمل بونمر " من ممارسة التعليم ، وأن هذا المنع الذي جسَّده المشهد السردي هو نتاج الهّوية الدينية التي أَقرها مشايخ المجتمع الريفي للطائفة " الدرزيّة " في جبل لبنان ، ذلك المجتمع الذي يمتاز بثوابت دينية تهيمن على ثقافة المجتمع ، لا سيَّما أن " لكلّ مجتمع ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى ، والثقافة تمثل حصيلة كل ما تعلمه أفراد مجتمع معين ، وبذلك تتضمن نمط معيشتهم ، وأساليبهم الفكرية ومعارفهم ومعتقداتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم والأساليب السلوكية التي يستخدمونها في تفاعلهم مع بعضهم البعض " (استيتية ، ٢٠٠٨ : ٢٢٥) ، وبهذا فإنَّ النسق الديني يُعدُّ من الأنساق القارة في أذهان أفراد المجتمع " الدرزيّ " ، فلا تستطيع أقوى العوامل اجتثاثها رغم تعاقب الأجيال ؛ لأنها مرتبطة بالجانب العقائدي للأفراد والأعراف ، وهي ليست من صنع خيال المؤلف ، بل موروث جماعي راسخ ومتجذر عبر الزمن ، لذلك فنسق الامتناع التعليمي في هذه اللقطة المشهدية يُترجم على أنه تضييقٌ على الشخصية الأنثوية " أمل بونمر " أما بطريقة مباشرة عن طريق القمع والعنف " **وجدت شقيقتي الكبرى نرمين تنتحب في فِناء البيت ، وسمعت صراخ أبي من المطبخ : خلص بيكفّيهن علم ... ثم عاد يصرخ : شو بدُّو ينفعها العلم ، شاهدته يفقد صوابه ويستخدم حزامه لينهال**

على نرمين بالضرب " أو بطريقة غير مباشرة عن طريق تهميش الأنثى وتقويض مركزيتها وسلب إرادتها " **عليكِ أن تنسي أمر التعليم تماماً ، هززت رأسي ليفهم أنَّني سمعته ، ولم أتفوّه بعدها بكلمة ، وغادر إلى خلوة المشايخ ، لا أستطيع أن أقول إنّي صُدمت بكلامه** ".

ومن الأنساق الثقافية الدينية الأخرى التي تمثلت في مشاهد الرواية هي امتناع ارتداء الزي الخارج عن دائرة الزي الديني التقليدي ، فالمهيمن الديني يجبر الآخر على البقاء ضمن نمط الحياة الدينية لقرية " عينصورة " ، وهذا ما أكّدته الروائية في فضاء متنها السردي ، تقول : " **عاش جدّي حياته في ضيعة " عينصورة " ولم يغادرها إلَّا نادراً ... ينحدر جدّي من عائلة مشايخ عريقة ، ولم يتجرَّأ أحد من عائلته على عدم الالتزام بالزّي الدينيّ التقليديّ ونمط الحياة الذي يرافقه . تزوَّج جدَّتي في عمرٍ مبكر ... كان أبي وعمّي في مقتبل العمر ... بعد أن فقد جدّي حقوله . فاضطرًا للذهاب للعمل في المدن حيث تكثر الملل وتتنوَّع الطوائف . نصحهم أصدقاؤهم بترك زيّ الدين وحلق الشوارب وترك الشعر ليطول ، كي لا يعرف أحدٌ مذهبهما في المدينة . كان الدروز يفضّلون الاستتار حتى قبل بداية الحرب ، والتي كان يقتل فيها الناس عشوائياً بسبب انتماءاتهم الدينية . ولكنَّ هذا الأمر لم يعجب جدي في البداية وطردهما من المنزل . لكنَّه سامحهما لا حقاً ؛ فعاد للعيش مع أبويْهما وأختهما سليمة .**

إلَّا أنَّ الحمَّى الدينيَّة التي أصابت جدَّي جعلته يفتح ملفّ العودة للدين من جديد . فعاد ذات خميسٍ من الخلوة ... كان ولداه يتحلَّقان حول مدفأة الحطب بجوار والدتهما بعد نهارِ عملٍ طويل ... لم يتفوَّه أحدٌ بكلمة ... بقي الصمت مخيّماً على الغرفة لدقائقَ قبل أن يفتح جدّي فمه :

الساكت عن الحقّ شيطانٌ أخرس ، قال مزمجراً . ثم أكمل جدّي حديثه ، ثم نظر إلى جدَّتي ورفع إصبعه قائلاً : وأنتِ يا أمّ علي إذا استمررتِ في خدمة أولادك وهم بهذا الزيّ ، فسترتكبين إثماً كبيراً وستخسرين كل حسناتكِ ... أنتِ طالق إن لم يغيّرا رأيهما ، وأنا بريءٌ منكم كلّكم ومن هذا الإثم ، قال غاضباً ... ذهب ليتعبَّد في الحجرة القديمة التي سيبني أبي بيته ملتصقاً بها ، والتي ستصبح ضريح جدّي ومرقده الأبدي " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٢٤ – ٢٦) .

يكشف المقطع السردي هنا أَن الدين جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع" الدرزيّ " الذي يمارس فيه الدين بشكل مهيمنات قارة تتحكم في سلوكيات الأفراد ونظرتهم للآخرين ، لذلك تنتج هذه الممارسات الدينية في المجتمع ثقافة الانقياد والتهديد والخوف إذا لم يحسن ممارستها ، وهذا ما يعكسه فضاء المشهد في كثير من حواراتها السردية لشخصية الجد تجاه الآخر المتمثل بالشخصية الأنثوية " **أكمل جدّي حديثه ، ثم نظر إلى جدَّتي ورفع إصبعه قائلاً : وأنتِ يا أمّ علي إذا استمررتِ في خدمة أولادك وهم بهذا الزيّ ، أنتِ طالق إن لم يغيّرا رأيهما** " ، وهذا يبرهن للقارئ أنَّ النسق الديني بفعل هيمنة السلطة الذكورية تحول إلى تفكيك الحياة الاجتماعية ، بعد أن كان يلعب الدور الأكبر في التماسك الاجتماعي وتزداد به قدرة المجتمع على تجاوز العديد من التحديات ؛

لأن الدين يمثل أحد أهم المحددات المنظمة لأنماط السلوك الفردي والجماعي في المجتمع ، وهذه المحددات جعلت أنتروبولوجيا الأديان تؤكد أن المعتقد الديني هو من بين أكثر مكونات الثقافة تمظهراً في حياة الكائن الإنساني وأقدرها على فعل الهيمنة والتأثير" (سويقات ، شبوعات ، ٢٠٢٠ : ٤٩) .

يجسّد مشهد الطلاق بين الزوجين في الرواية نقطة مهمة من خلال نص آخر يكشف عنه الحوار بينهما " جاد ، ونرمين " بشكل جليّ في مشاهد هذه الرواية ، إذ تقول الروائية : " **تيقَّنت أنَّ نرمين ليست بكامل وعيها ، بسبب غياب التماسك في جملها وانعدام المنطق ، رحت أستنطقها بهدوء : ما الذي يزعجك في جاد ؟ هل آذاك ؟ ... هل هناك سببٌ معيَّنٌ لانفصالك عنه ؟ أنا أدعم خيارك بالكامل ، ولكنَّني أحاول أن أفهم فقط .**

السبب أنَّني أريد أن أخلّص نفسي . أنا لست كافرة سأتوب . أعدك أنَّني سأتوب .. ثم راحت تبكي ... جاد خدعني . هل خانك ؟ لا . خدعني . كلّهم خدعوني .

كيف خدعوكِ ؟ قالوا لي إنَّه درزيٌّ .

أتتكلَّمين عن جاد ؟

أجل . ولكن جاد درزيٌّ ، وكلّنا نعرف ذلك .

لا . والده يذهب إلى الكنيسة . وهو لا يعرف شيئاً عن الدروز . لا يعاشرون العرب والدروز . لا أحد يدخل بيتنا سوى الأميركان . كلّهم مسيحيُّون ... هذا يعني أنَّني سأدخل النار . كيف أخلّص نفسي ؟ ماذا أفعل يا الله ؟

نرمين ... استفيقي ... إن أخبرتِ أُمّي أنَّ جاد ليس درزيَّاً ستظنّ أنَّني كافرة ، لأنَّ الله لا يقدر مصيراً كهذا على الأخيار . أنا خائفةٌ من نظرة أهلي لي وخائفة من الجحيم . ماذا لو أنَّني حقّاً كافرة ! ؟

وقد كان لنرمين ما أرادت . بعد أقلّ من أسبوع ، التقى أبي وجاد عند كاتب العدل في مدينة " عالية " ووقَّعا على توكيل يسمح لأبي أن يوقّع بالنيابة عن جاد كافَّة المستندات القانونية لإتمام الطلاق " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٣٣٣ – ٣٤٢) .

تظهر الصورة السردية تأثير المهيمنات الدينية للمجتمع " الدرزيّ " في بنية النظام الاجتماعي ، تلك المهيمنات التي تعمل على تقويض الثقافة الدينية للآخر ، لذلك تحاول هذه اللقطة المشهدية أن تكشف تلك النظرة القائمة على أساس عرقي وديني في المجتمع " الدرزيّ " من خلال شخصية " نرمين " التي قامت بتفكيك العلاقة الزوجية لكشفها للآخر بعدم انتمائه للديانة التي تنتمي لها " **جاد خدعني ... قالوا لي إنَّه درزيٌّ ... والده يذهب إلى الكنيسة . وهو لا يعرف شيئاً عن الدروز ... كلّهم مسيحيُّون ... هذا يعني أنَّني سأدخل النار**" ، وهذا يترجم للقارئ أن المهيمن الديني لم يكن في حياة المجتمع " الدرزيّ " حالة هامشية في الحياة اليومية ، يمارسه الأفراد كما تمارس الأنشطة الأخرى ، بل كان نشاطاً جوهرياً يسعى الفرد لتمثل أبعادها الثقافية في تكوين الجزء الاكبر من ثقافته في الجوانب العقيدية والبيولوجية والآيديولوجية ضمن دائرة المجتمع والحياة (كاظم ، ٢٠١٤ : ١٠٢).

إنَّ المجتمع " الدرزيّ " بوصفه مجتمعاً دينياً مغلقاً يلزم الفرد الدرزيّ بالنظام الاجتماعي الخاضع لهيمنة الدين دون وجه الاعتراض أو الامتناع ، وهذا ما تكشفه شخصية " أستاذ خلدون " الذي تمنعه المعتقدات الدرزيّة الاجتماعية من الزواج بغيرها ، فقد أبرز الخطاب السردي هذا التمثل الثقافي بقول السارد : " **ماذا عنك أستاذ خلدون هل لديك أطفال ؟**

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وأخذ نَفَساً طويلاً من السيجارة :

– لم أتزوَّج بعد . أنتظر حبيبتي لتوافق على الزواج بي من غير أن يطلب أهلي يدها من والدها . وأُمّي تدور بي على المقامات ، وتنتظر حتى يهديني الله وأتوقَّف عن حبّها . وبين انتظاريهما ، سيضيع شبابي وستأكل السجائر رئتيَّ .

– عذراً على السؤال أستاذ خلدون ، ولكنْ لماذا لا يطلب أهلك حبيبتك للزواج ؟

– حبيبتي ليست درزيَّة يا أمل . لم أختر أن أحبّها ولا هي اختارت أن تحبّني . حاولت كثيراً أن أبتعد عنها ، ولكنَّني لم أفلح لأنَّها حبّ حياتي . اشتريت لها منزلاً جميلاً بتعبي وجنى عمري ، ورحت أرجوها كلّ يومٍ أن تذهب معي لتختار الأثاث الذي يعجبها ، ولكنَّها رفضت وقالت إنَّ الشقَّة قد لا تكون من نصيبها إن لم يطلبها أهلي من والدها مثل بقيَّة الصبايا . قالت لي إنَّها تريد أن تتزوَّج بكرامةٍ كباقي الفتيات . ولكنْ أين كرامة من يخسر حبيبه بسبب المعتقدات الدينية التي يخضع لها المجتمع الدرزيّ ؟ " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ١٨٩) .

يكشف السارد في هذا الشاهد أَن النسق الديني هو المحرك الأساس للحياة الاجتماعية للمجتمع " الدرزيّ " وقد ظهر من خلال شخصية " أستاذ محمود " الذي يسرد معاناته الذاتية تجاه تأثيرات هذا المهيمن في النظام الاجتماعي ، ويبدو أن إرغام الآخر على الخضوع والانصياع للأنساق التي يختزنها في لا وعيه الجمعي جعله يعيش في فضاء الانتظار والصراع النفسي أمام الحبيبة " **سيضيع شبابي وستأكل السجائر رئتيَّ** " ، وهذا الانصياع يكشف لنا ان الوظيفة الأساسية لمعتقدات هذه المكونات " الدرزيّة " في المجتمع تتعلق بالحث على ضرورة التسليم لها وعدم خرقها ومخالفتها في العديد من الجوانب الاجتماعية والتنظيمية المتعلقة بمجالات الحياة والذات ، لذلك نجد أَن الروائية " حنين الصَّايغ " لم تقف على الوازع الديني في هذا المجتمع صدفة ، بل وعت تأثيراتها على الفرد ، فاتخذت من الفضاء السردي وسيلة لتعبر من خلاله عن انفعالات الآخر في محيط هذا النسق الديني الذي يمثل نظاماً اجتماعياً يضم مجموعة من المعتقدات والعادات والممارسات يدين بها المجتمع " الدرزيُّ " .

المبحث الثاني : الأنساق الاجتماعية القارة في المجتمع .

يمتلك المجتمع " الدرزيُّ " كغيره من المجتمعات بنية اجتماعية استطاع عن طريقها أن يعبّر عن جملة من الأنساق القارة التي " تستخدم لوصف الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد والمجتمعات ، فهو يشمل جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية مثل الثقافة والقيم والسلوكيات والعادات والممارسات " (أحمد ، (د . ت) : ٧) ، لا سيَّما أنَّ كل مجتمع يتألف من ثقافة تشكّل وعيه الجمعي ، وتحكم أفراده ، وتؤطّرهم حسب أنساق قارة يخضعون لها في بنيات المجتمع وتتغلغل في ثقافته لتغدو أنساقاً معلنة أو مضمرة تتحكم في أنماط تفكير أَفراد المجتمع الواحد وتصوّراتهم للحياة ومواقفهم منها ، لذلك فإنَّ الممارسات التي يمارسها أَفراد مجتمع ما من سلوكيّات تسهم في بناء الظواهر الثقافية والقيم والأَفكار والمعتقدات كما تقرّ به نظرية الأنساق العامة (لومان ، ٢٠١٠ : ٧) ، وقد اندرج تحت هذا النسق عدد من القضايا والصور الثقافية للمجتمع " الدرزيّ " مثل " **تفضيل الأبناء الذكور على الأناث** " ، وهذا ما توظفه الساردة بقولها : **لا أذكر أنّي بكيت حين توفّيت جدَّتي . كنت في الثامنة من عمري ، ولم يكن لي معها ذكرياتٌ جميلة ، إذ إنَّها لم تكن حنونةً ولم تحبّ البنات .**

" البنات هَمّ يا نبيلة . جبتيلو أربع هموم لعلي ! " ، كانت تقول متوجّهةً إلى أمّي قاصدةً إيَّايَ وأخواتي .

وفي يوم ميلادي ، خدعتها أختي الكبرى أسمهان من باب الدعابة ، وقالت لها إنَّ أمّي أنجبت ولداً . فقفزت جدَّتي من غرفتها وعبرت الفِناء الخارجيّ لتدخل إلى بيتنا ، وحين وصلت لاهثةً اكتشفت أنَّني بنت . عادت بعدها خائبة الأمل دون أن تنظر إليَّ ، ودون أن تبارك لأمّي ، وراحت تبكي في غرفتها في صمت " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٢٢ – ٢٣) .

تكشف لنا الروائية من خلال هذا النص الصور الاجتماعية التي تشير إلى الثقافة المترسّبة في وعي المجتمع ، تلك الثقافة التي أصبحت قيمة راكزة في الموروث الاجتماعي من خلال نسق تفضيل الأبناء الذكور على الإناث ، وإن هذا النسق الثقافي أنتج الشكوى والهمَّ في ولادة الإناث من قبل الآخر، وهو ما جسّدته شخصية الجدة " **البنات هَمّ يا نبيلة . جبتيلو أربع هموم لعلي** " ، ويترجم هذه الجملة السردية الحوارية الأَفضلية المطلقة لثقافة الذكور التي رسخها العقل الجمعي ، لذلك " تعطي تلك الثقافة الأولوية للطفل الذكر وتخصُّه بميزات لا تحصل عليها الطفلة الأنثى ، لذا ينقل الاتجاه إلى معاملة الفتاة عبر أفراد الأسرة ، ومن ثمَّ إلى بقية أفراد المجتمع ، فتُعامل على أنها النوع الأضعف والأقل قدرة والأدنى مكانة ، فيسود ذلك المنحى الفكري لدى العامة " (رمزي ، ٢٠٠١ : ١٩٨) ، لذلك فإنَّ هذا المنحى الفكري المتحكم في حياة الناس هو " أنساق ثقافية وتاريخية تتكون عبر البيئات الثقافية والحضارية فيكون لها بذلك أثر سحري فاعل في توجيه عقلية الثقافة وذائقتها ، ورسم سيرتها الذهنية والجمالية ، فهي إذن أنساق عاملة مؤثرة لها وظيفة تتجاوز وجودها المجرّد في النصّ " (الغذامي ، ٢٠٠٥ : ٧٩).

تعالج هذه الرواية بسردها القضايا الاجتماعية وتحولاتها في المجتمع " الدرزيّ " عن طريق رصدها لمجموعة من المهيمنات الاجتماعية التي تروم الرواية كشفها للقارئ ، ومن هذه القضايا الاجتماعية هي قضية " **الانجاب** " ، إذ تقول " **صباح الخير ، أتكلَّم معكم من الجامعة الأمريكيَّة في بيروت . هل أمل أبو نمر موجودة ؟**

– نعم . تفضَّل .. أنا أمل .

– أتَّصل لأعلمك أنَّه تمَّ قبولك في الجامعة الأميركيَّة في بيروت لفصل الخريف القادم ، مبروك ! عليكِ التوجُّه لاستلام طرد القبول من أقرب مركزٍ بريديّ .

حين عاد سالم إلى المنزل كنت منتشية من فرحة الخبر ، ممَّا ساعدني على مفاتحته بالأمر من غير ضعفي وتردُّدي المعهودين . وبعد أن أحضرت عدَّة المتَّة وجلست بجانبه على الشرفة وسألته عن نهاره ، بدأت بالموضوع : أتذكر اتّفاقنا قبل الزواج يا سالم ؟

– لقد أنهيتِ تعليمكِ الثانويّ . ألا يكفي هذا ؟

– لا ، لم يكن هذا اتّفاقنا . أنت وعدتني أنّي سأكمل تحصيلي العلميّ ، وأذهب إلى الجامعة .

– وعدتكِ ثم غيَّرت رأيي ، أنا لست " مولاي العقل " ، أنا بشرٌ وأغيّر رأيي .

– لن تلتحقي بأيّ مكانٍ قبل أن أحصل على طفل . هذا آخر كلامٍ لي . لن تذهبي إلى أيّ مكان قبل أن نحصل على طفل " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ١٣٢ – ١٣٣) .

تصور الروائية في هذا المقطع السردي مجتمعاً يَعُجُّ بالأنساق الاجتماعية القارة التي صممتها المركزية الذكورية لتتمتع بامتيازاتها تجاه المركزية الأنثوية التي تبقى حبيسه الثقافة الذكورية المؤسسة على جملة من الروادع الاجتماعية القاهرة ، ومن هنا نلحظ أن هذه الثقافة الذكورية المهيمنة ضمن آيديولوجيات المجتمع تتجسّد في شخصية " سالم " الذي قام بمنع الشخصية الأنثوية " أمل أبو نمر " من اكمال دراستها الجامعية نتيجة عدم انجابها للأطفال " **لن تلتحقي بأيّ مكانٍ قبل أن أحصل على طفل** " ، لذلك فإننا نجد أن هذا النسق الاجتماعي المتمثل بقضية الانجاب يظهر المرأة في صورة الخضوع والتهميش ؛ بسبب الثقافة الذكورية الخاضعة للسلطة الاجتماعية التي تجعل الهدف الأسمى من المرأة الإنجاب ، وهذه الثقافة البشرية في تاريخها الطويل كما يراها " الدكتور عبد الله الغذامي " قد قولبت المرأة واختزلتها في صور دنيا أسفرت عن تسخيف المرأة وامتهانها من قبل الذكور ، وقد ارتضى كثير من النساء تلك الصورة الشوهاء منضويات في هذا النمط الذهني دون تفكير ، ونتيجة لهذا التاريخ النسقي الراسخ تقلّصت المرأة وأصبحت مجرّد جسد خاص بالانجاب والإثارة البيولوجية ، ومن ثمَّ أُستثمرت هذه الرؤية ثقافياً مما دفع المرأة إلى أن ترى نفسها منقادة لتلك الصورة النمطية التي كرّستها ثقافة المجتمع (٢٠٠٦ : ٣٤) ، والحديث عن ثقافة المجتمع إنما يقصد به " وجود نظام متواصل ومتوارث يتكون من تلك الأنماط الثقافية التي اصطلح عليها المجتمع يشترك فيها جميع الأفراد وتنتقل من جيل لآخر ويتعلّمونها بالمحاكاة أو التكرار أو الممارسة بشكل لا شعوري " (ذكي ، ٢٠١٠ : ٦٥) .

يمثل النسق الثقافي " **لقاء الآخر ، المحافظة والمتحرر** " أحد أهم الأنساق القارة التي يقوم عليها المجتمع ، ونقصد بهذا النسق هو التقاء ثقافتين متغايرتين ، ثقافة الذات المنتمية إلى المجتمع الموصوف بالمحافظ ، وثقافة الآخر المنتمي إلى ثقافة أخرى تختلف عن ثقافة المجتمع المحافظ (المسعودي ، ٢٠١٤ : ٥٦) ، وقد وظف الفضاء السردي هذا التمثل الثقافي بقول الروائية : " **تسلَّلت نرمين من المنزل ، وقصدت بيت جارتنا كي تتَّصل بجاد من غير علم أبي ... حين عادت ، أخبرتني أنَّها تكلَّمت مع جاد وأخبرته عن شكوك أبي وامتعاضه من وجود مسيحيّين في أسرتهم ، وطلبت منه ألَّا يأتي وحده في المرَّة القادمة ، بل يصطحب معه أحداً يستطع أن يتكلَّم مع والدي ويناقشه ... في الزيارة الثانية ، تفاجأنا بجاد ووالدته السيّدة منى وقربها العميد وئام أبو جمعة ... طلب العميد أبو جمعة من أبي أن يتحدَّث معه على انفراد ، وعلمنا أنَّ العميد أبدى تفهُّمه لتساؤلات أبي ، وقال له : نحن ما منرضى يا شيخ علي إلَّا نمشي بالأصول ، خاصَّةً إنَّك شيخ ، والمشايخ زينة الطائفة واحترامهم على راسنا .**

نقل أبي هذه الجملة لأُمّي وهو يشعر بالاعتدال حيال إشادة العميد بالمشايخ ... ووعده أن يطمئنه قريباً بخصوص أصل العائلة عن طريق تحصيله لمستند شجرة عائلة والد جاد ...

تكرَّرت زيارات جاد ، وفي كلّ مرَّةٍ كان يسلّم فيها على أبي يُخبره بلغته العربية الهجينة ... أنَّ العميد يسلّم عليه ويعمل على المستند الذي طلبه منه ؛ ولكنَّ الأمر سيستغرق وقتاً . فيهزّ أبي رأسه ، ويوصي أُمّي أن تبقى معنا ثم يوصيني أن أبقى مع جاد ونرمين ... ومع الوقت ، نشأت بيننا نحن الثلاثة علاقةٌ متينة . وقد أحبَّني جاد كثيراً ، وقال لنرمين إنّي ذكيَّة وحكيمة ... وتمنَّى لو استطاع أن يأخذني معهم إلى أمريكا . فضحكنا أنا ونرمين ... وحين سألنا عن طموحاتنا وأحلامنا ، التقت عيناي بعينيْ نرمين في لحظة فهم عميق ، وكأنَّنا نقول لبعضنا " إنَّ هذه المصطلحات لم تدخل حياتنا من قبل ، وإنَّنا لا نعرف كيف نُجيب على هذا السؤال ... فنحن ببساطة نريد أن نهرب من المجتمع الدرزيّ القروي المحافظ . هذا كلّ شيء . وأخبرت جاد كم أحبّ أن أُكمل تعليمي ... وأخبرته نرمين أنَّها تريد أن تصبح سيّدة أعمال ... فأُعجب بافكارها وقال لها بالانكليزية I will be the wind beneath your wingsأي " سأكون الريح تحت جناحيْكِ " ... وجدنا في جاد صفات لم نكن نعلم أنَّها قد تكون موجودةً في جسد رجل. كان منفتحاً ... كان يتوقف جنب البساتين فيحيّي الفلَّاحين بلغته الهجينة ... فيما نقف أنا ونرمين وراءه بمسافةٍ كبيرة نضحك بخجل وارتباك . عشنا في ذلك الشهر أيَّاماً لم نكن قد خبرنا مثلها ... فأخبرنا جاد عن حياته في أميركا " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ١١٧ – ١٢٠).

يظهر النسق الثقافي – المحافظة والمتحرر– في هذا المشهد بشكل ملحوظ من خلال رصد التباين الثقافي بين المركزيتين الأنثوية والذكورية ، فالأول يتمثل بالشخصيتين " نرمين ، وأمل بو نمر " من المجتمع " الدرزيّ " ، أما الآخر فيتمثل بشخصية " جاد " المسيحي المنتمي إلى المجتمع الأوروبي المتحرر من جميع الأنساق الثقافية،

ويبدو للقارئ من خلال هذا التباين الثقافي بين المركزيتين أَن السياق الثقافي الذي هيمن على فضاء النص فضاءٌ سردي يصور واقع الشخصيتين الأنثويتين تجاه الأنساق المحافظة وعدم التحرر منها ، وهذا ما تترجمه تلك الجمل الحوارية التي تكشف التباين الثقافي مع الآخر " **وكأنَّنا نقول لبعضنا " إنَّ هذه المصطلحات لم تدخل حياتنا من قبل ، وإنَّنا لا نعرف كيف نُجيب على هذا السؤال ، فنحن ببساطة نريد أن نهرب من المجتمع الدرزيّ المحافظ . هذا كلّ شيء** " ، إنَّ ضعف ثقافة الشخصيتين الأنثويتين بمحاورة الآخر يعود لهيمنة الأنساق الاجتماعية " الدرزيّة " المحافظة التي ظلت حاضرة في طريقة تفكيرهما وأقوالهما وردود أفعالهما مقارنة بالآخر " جاد " المتحرر في حواره ونمط تفكيره ولغته وأسلوبه وحياته المعاشة في أمريكا ، وهو الذي يقع " خارج المنظومة الاجتماعية التي تشكّل وعي المجتمع العربي وقضاياه وتكوينه الاجتماعي والسيكولوجي والثقافي " (النعيمي ، ٢٠١٣ : ١٣) ، ولهذا فإنَّ " نسق المحافظة ليس مجرَّد لباس يمكن تبديله ، بل هو نمط ثقافي راسخ في وعي الشخصية المنتمية إلى ثقافة محافظة " (المسعودي ، ٢٠١٤ : ٦٩) .

ما نستشفه من خلال قراءة هذه الأنساق الثقافية لرواية " ميثاق النّساء " أنّ نسق " **التقاليد** " قد شكل محوراً مهماً في هذه الرواية ، قصدت من خلاله الروائية التعبير عن أوضاع الأنثى وما تعانيه من ضغوطات المجتمع نتيجة التقاليد المهيمنة على الذات الأنثوية ، فهذا الشكل الثقافي برز في قول الروائية : " **إنَّ الدوام المدرسيّ سيبدأ الأسبوع القادم ... وقال إنَّنا سنذهب صباح الغد إلى المدرسة ... قال تلك الكلمات وأضاءت ابتسامة الجميلة وجهه .**

في غرفة مديرة المدرسة ، كنت أقف وراء سالم محاولةً فهم الحديث الذي يدور بينهما... ولكنَّها تقدَّمت نحوي بخطواتٍ ، وأمسكت بخصلةٍ من شعري المصبوغ والذي صبغه لي المزيَّن يوم زفافي منذ أسابيع قليلة ونظرت إلى سالم قائلةً : هذا غير مقبول هنا . عليك أن تُعيد شعرها للونه الأساسيّ . هذا المظهر لا يليق بتلميذة في مجتمع يسوده التقاليد الاجتماعية !

ردَّ سالم بصوت منخفض : نعم ، طبعاً نحن نحترم قوانين المدرسة .

لم أنبس بحرف . كانوا يتكلَّمون عنّي بصيغة الغائب وكأنَّني حيوانٌ أليف . لا أعرف إنْ كنت حينها أرغب في أن أقول شيئاً ... اكتفيت بالصمت لحظتها ، لأنَّ وضعي كلّه كان يضعني في مرتبةٍ متدنّية ، ويجعل أيّ شيء أقوله عرضةً للهجوم أو للسخرية . وزاد شعوري بالكدر حين ناولتني الناظرة مريولاً أزرق طويلاً يصل لمنتصف الركبة ؛ قائلة إنَّ هذا هو الزيّ المدرسيّ الموحَّد ، وأصرَّت أنَّه من غير المسموح تقصيره بتاتاً . كان الأمر في غاية الغرابة بالنسبة لي ، لأنَّ المريول كان قد انقرض في كافَّة المدارس والثانويَّات في منطقة " عاليه " ، وتم تعويضه بقميص أبيض وكنزةٍ كحليَّةٍ تحمل لوغو المدرسة على الجهة اليسرى من الصدر . كلّ هذا جعل الأمر صعباً ، وجعلني أفهم أنّي لم أنتقل مسافة نصف ساعةٍ من منطقةٍ إلى أخرى ، أنَّما عدت للوراء حوالي عقدٍ من الزمن " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٦٦ – ٦٨) .

يفصح الخطاب السردي عن صورة ثقافية لها هيمنة في نظام المجتمع ، إلا أنها صورة التقاليد الاجتماعية التي أخذت تفرض سطوتها من خلال الزام الذات الأنثوية " أمل ابو نمر " بجملة تقاليد اقرتها بيئة المجتمع الدرزيّ في جميع مفاصل الحياة ومنها التعليمية " **مديرة المدرسة ، أمسكت بخصلةٍ من شعري المصبوغ ونظرت إلى سالم قائلةً : هذا غير مقبول هنا . عليك أن تُعيد شعرها للونه الأساسيّ . هذا المظهر لا يليق بتلميذة في مجتمع يسوده التقاليد الاجتماعية ، وزاد شعوري بالكدر حين ناولتني الناظرة مريولاً أزرق طويلاً يصل لمنتصف الركبة ؛ قائلة إنَّ هذا هو الزيّ المدرسيّ الموحَّد ، وأصرَّت أنَّه من غير المسموح تقصيره بتاتاً** ، وبهذا فإنَّ التقاليد القروية " الدرزيّة " التي هيمنت على المجتمع أصبحت لها قيمة معنوية يصعب الانفكاك عنها أو تخلّي الفرد عن مبادئها ؛ لأنها " تمثل هوية الأفراد والمجتمع ، بعدّها حصيلة التطور التاريخي والحضاري للأفراد والجماعات حيث إنها تمثل مجموعة الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وترسمها تقليدياً وهذا ما يميزها عن النشاط الشخصية التي يقوم بها الأفراد " (دياب ، ١٩٨٠ : ١٠) .

المبحث الثالث : التمرد على الأنساق القارة " الدينية والاجتماعية " في المجتمع .

شهد المجتمع " الدرزيُّ " تغيرات حادة عبر فاعلية التمرد على بعض الأنساق الثقافية الراسخة التي يعرفها المجتمع الدرزيُّ ، نتيجة تغير سلوك أفراد المجتمع تجاه القيم الدينية والاجتماعية التي تمثل ممارسات ثقافية يجسدها الفرد باعتباره أداة كاشفة عن الأنساق المتحكمة ومدى ثباته أو تمرده ، لذلك فإنَّ التمرد على الأَنساق القارة ومنها الدينية والاجتماعية يمثل " رفض الفرد للثقافة السائدة والبناءات الاجتماعية والبحث عن تبديلها بواحدة جديدة عن طريق الثورة والتمرد " (كامو ، ١٩٨٣ : ١٣٦) ، بمعنى أنه مجموعة من السلوكيات المعبرة عن رفض تقييد الحرية الفكرية والسلوكية في المجتمع ، ونتيجة تفاعل الروائية مع تحوّل الأنساق القيمية نجد نسق التمرد على " **الدين** " ، في تجربتها الروائية بقولها : " **تعلَّمت أُمّي أن تنأى بنفسها عن كلّ ما حولها ، فكرَّست الكثير من وقتها لعمل الخير. في ليالي العشور ، وهي الليالي العشر التي تسبق عيد الأضحى ، كانت الشيخات يجتمعن في الخلوة فيخبزن الحلوى ويقشّرن الفواكه ويمددن الموائد المليئة بكمّيَّاتٍ من المأكولات تكفي لإطعام مئات الأشخاص . اعتادت أُمّي أن تكون من أوَّل الواصلين للخلوة وآخر المغادرين لها ، فتنتظر مغادرة آخر المشايخ الذين كانوا يأتون وفوداً من كافَّة الضّيَع والبلدات حتى تساعد في الجلي والتنظيف والتوضيب . فعلت أمّي كلّ هذا من غير أن تتعمَّق في فهم الدين ، واعترفت لي مرَّةً أنَّها ترى أنَّ هناك إهانةً للمرأة في كثير من المواضع والتعاليم الدينيَّة . وكانت عبارة " لا يجب على المرأة أن تذهب أبعد من مسرح دجاجةٍ بلا محرم " تُشعرها بالامتعاض . وحين قرأت ميثاق النساء – إحدى رسائل كتاب الحكمة – شعرت بانزعاج شديد من اللغة التي تكتنفها نظرةٌ دونيَّةٌ تفرض الوصايا على المرأة ، ولكنّي كنت حين أستفزّها بأسئلةٍ عن قضايا دينيَّة تُجيب : خلّيني** " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٨٦ – ٨٧) .

هنا يبرز السياق السردي نسق التمرد على الدين من خلال اعتراض المرأة على بعض التصورات الدينية التي جسّدها رجال الدين في المخيلة الأنثوية ، وقد حددت معالم هذا التمرد من خلال ماورد فيها على لسان الراوية " **حين قرأت ميثاق النساء – إحدى رسائل كتاب الحكمة – شعرت بانزعاج شديد من اللغة التي تكتنفها نظرةٌ دونيَّةٌ تفرض الوصايا على المرأة ، ولكنّي كنت حين أستفزّها بأسئلةٍ عن قضايا دينيَّة تُجيب : خلّيني** " ، لذلك يظهر التحوّل النسقي الثقافي بشكل ملحوظ من خلال رصد التمرد في الصورة المألوفة للنسق الديني المعروف بالثبات الفكري في دائرة المجتمع ؛ لأن النسق الديني يمثل " القانون الأعلى والأسس التي تلجأ إليها البشرية للتطهير والنقاء الروحيين " (واصل ، ٢٠١٩ : ع١١ ، ٢٤) ، ونلمس أَن هذا التمرد الذي وظفته الروائية في فضائها السردي هو محاولة لكسر التابوهات المُكرسة في ثقافة المجتمع الدرزيّ ، ذلك المجتمع الذي يخضع الأنثى لمهيمنات الطائفة " الدرزيّة " لا سيَّما ان هذه الرواية جاءت ذات توجه تمردي ضد الأنساق الثقافية القارة التي تُفرض على الأنثى كرهاً ؛ لأن هذه الأنساق الثقافية لا تعبر عن روحها على حد تعبيرها " **فعلت أمّي كلّ هذا من غير أن تتعمَّق في فهم الدين ، واعترفت لي مرَّةً أنَّها ترى أنَّ هناك إهانةً للمرأة في كثير من المواضع والتعاليم الدينيَّة** " ، وهي الشخصية الأكثر تمرداً على الأنساق الدينية والاجتماعية التي تحد من ذاتها بقوانينها وقواعدها .

إنَّ المتتبع للَّقطات السردية في هذه الرواية تتراءى أمام عينيه صور ونماذج تتحرك فيها المرأة متمردة ضد الدين ، ونقرأ هذا المظهر الثقافي في قول الساردة : " **حين قرَّرنا أن نتزوَّج ونمضي ما تبقَّى من أعمارنا سويّاً ، لم نُعِر شأناً لأيّ من الاعتبارات . كان حامد على علمٍ بأنَّ خلفيَّتي الدينيَّة تمنع على الدروز الزواج من خارج دينهم ، بل إنَّ أيّ زواجٍ من هذا النوع يعتبر خيانةً عظمى للدين والمجتمع الدرزيّ . ولحماية أهلي من مجتمع المشايخ ، قرَّرنا أن نُبقي زواجنا سرّيّاً . كما اتَّفقنا أن يكون الزواج مدنيّاً كي لا أضطرّ إلى تبنّي قوانين دين أخر.**

عندما حان موعد زيارتي للقرية هذه المرَّة كنت مخطوبة . كان عليَّ أن أحتفظ بالفرح لنفسي ، أن أحرص على ألَّا يتسرَّب منه شيءٌ إلى الخارج . كنت مدركةً كم تتمنَّى أُمّي أن أفرح ... وشعرت بالغصَّة لأنّي كذبت على أُمّي ....لقد كذبت من أجل حمايتهم من القوانين الدينية الصارمة التي تُحيط بحياتهم ...لقد عاش أبي طيلة حياته في هذه القرية حيث تفرَّغ للعمل الشاق وعبادة ربّه . تمرَّن على الطاعة ... كنت أرفض بعد هذا العمر أن أهزّ عالمه وأهدم سمعته أمام المشايخ الدينية . أنا لا أريد أن أدمّر عالمه الصغير ، ولكنْ لم أُدرك قبل اليوم أنَّ معتقداته الدينية والقوانين الحيطة بها كانت قادرة على تدمير عالمي للمرَّة الثانية ...

وصلت إلى بيروت ، عدت العروس التي تتحضَّر لزواجها من فارس أحلامها ... قصدنا مصمّماً مشهوراً في منطقة جونيه ، قابلتنا سيّدةٌ خمسينيَّة بشوشة الوجه . أهلاً بالعروس . أخبريني عن فستان أحلامكِ وأنا سأجده لكِ .

في الحقيقية ، أنا أحبّ البساطة في الفساتين ، كما أفضّل ألّا يكون ثقيلاً كي أتمكّن من وضعه في حقيبة السفر ... ستتزوَّجان في الخارج ... في الدنمارك ، قال حامد . وبعد أن تبادلا بضع جمل نظرت إليَّ السيّدة ، وقالت متفاجئة : خطيبكِ مصري ! أجل وأنا لبنانيَّة ، وبعد أن وقع اختيارنا على الفستان ، طلبت اسمي الكامل . أمل أبو نمر . وبعد أن لفظت اسمي رفعت السيّدة نظرها أنتِ درزيَّة ! أجل درزيَّة ... ثم نظرت السيّدة إلى حامد ، وقالت ممازحةً : كيف أقنعتها أن تتزوَّج بك ؟ أتعرف كم من الصعب أن تتزوَّج درزيَّةٌ برجلٍ غير درزيّ ! " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٣٦٤ – ٣٧٠) .

يجسّد هذا النموذج السردي التمرد الأنثوي على الأنساق الدينية عبر فاعلية الزواج السري بين الشخصية الأنثوية " أمل أبو نمر " لبناني الجنسية ، والشخصية الذكورية " حامد " مصري الجنسية ، ويكمن هذا التمرد تجاه النظام الديني للطائفة " الدرزيّة " التي تمنع الزواج خارج دائرة مجتمعها العقائدي ، لذلك يُعدُّ هذا التمرد وفق المجتمع " الدرزيّ " خرقاً وهدماً لتلك الأسس الدينية التي حاولت الأنثى كسرها بكل قوة ورفضت السبيل من الاعراف الدينية التي تسعى لتقييدها وتفرض عليها البقاء ضمن صورة نمطية محددة ، وبهذا فإن تمرد الذات الأنثوية هو محاولة للتخلص من مشاعر الإحباط التي تكنُّها للأنساق المتحكمة بها وبقراراتها ، فهو وسيلة من وسائل التكيف تساعد الفرد في الخروج على المحيط الاجتماعي بإحداثه تغييراً ما ؛ إذ يشعر المتمرد بصراع داخلي يقوده إلى رغبة عارمة في هدم أي عائق أمامه " **حين قرَّرنا أن نتزوَّج ، لم نُعِر شأناً لأيّ من الاعتبارات . كان حامد على علمٍ بأنَّ خلفيَّتي الدينيَّة تمنع على الدروز الزواج من خارج دينهم ، بل إنَّ أيّ زواجٍ من هذا النوع يعتبر خيانةً عظمى للدين والمجتمع الدرزيّ** " ؛ كي يُعزّز الإحساس بهويته واستقلاله في المجتمع الذي يثور فيه على نسق ثقافيّ ما لعلّه يكون نسقاً دينياً (جميل ، ٢٠٢٢ : ١٢٩ – ١٣٠) .

لم يقتصر الفضاء الثقافي في الرواية على التمرد الديني ، بل تعدّاه إلى التمرد الاجتماعي الذي كان شاهداً آخرَ على الفرد في المجتمع " الدرزيّ " ، وقد قدم المتن الروائي العديد من الشواهد السردية عن شخصيات تمردت على القوالب الاجتماعية الجامدة ، ومن صور ذلك التمرد " **الخمر** " تقول الروائية : " **وصل جاد ونرمين . وحين فتحنا الباب ، رأينا نرمين تحمل صندوق بيرة باردة ، وتركض به فوق السلالم المؤدّية إلى بيتنا ويتبعها جاد حاملاً أكياساً فيها أشياء أخرى . مدَّتنا نرمين بصندوق البيرة ضاحكةً :**

– محرومين من المشروب عند أهلي بسبب امتناع المجتمع القرويّ . خلّينا نعوّض نحنا ويَّاكم هون .

ضحك جاد لكليهما ، وقدَّم لي الأكياس التي تحتوي على الحلويَّات والمكسَّرات . كان الطقس جميلاً ، فاختارا أن نجلس على الشرفة حيث شربنا البيرة وضحكنا ، ولم تتوقَّف نرمين عن إطلاق النكات عن المجتمع القرويّ وكثرة الأسرار التي تضطرُّنا إلى الكذب ، وكيف نصدّق كذباتنا في نهاية الأمر ونتحوَّل إلى منافقين .. ترفع كأسها من حينٍ لآخر ، وتقول :

– بصحَّة النفاق الذي سمح لنا بتناول البيرة الباردة في هذا النهار الصيفيّ الحارّ . وتضحك بصوتٍ عالٍ ، وكأنَّ المكان كلّه لها...

فرحتُ بطاقة نرمين واندفاعها ، شعرت أنَّها أتت بالكثير من الحياة والفرح إلى بيتي الكئيب . وتمنَّيت لو أنَّها تبقى ولا تسافر مجدَّداً . تمنَّيت لو أنَّها تستطيع أنْ تكون جزءاً من حياتي لعلّي أتعلم شيئاً من قوَّتها وتمردها ولا مبالاتها تجاه الآخرين "(الصّايغ ، ٢٠٢٤ : ١٣٥) .

يلاحظ من قراءة المشهد أنَّ ما تمرَّدت عليه الشخصيات من الأنساق الثقافية القارة هو اجتراحهم لشرب الخمر خارج مسلَّمات نظام المجتمع " الدرزيّ " ، وأنَّ إيغال الشخصيات لهذا النسق يعكس مظهراً من مظاهر التغير والاحتجاج على سلطة المجتمع الذي ترى فيه الشخصيات قيوداً ومهيمنات فرضت عليهم بفعل الثقافة القروية أو القيم المثالية " **محرمين من المشروب عند أهلي بسبب امتناع المجتمع القرويّ . خلّينا نعوّض نحنا وبَّاكم هون** " ، لذلك يأتي تمرد الشخصيات كمعادل موضوعي للاستفراغ الذاتي نتيجة الكبت في دائرة المجتمع المغلق بثوابته ومسلَّماته الاجتماعية ، وبهذا سعت الروائية من خلال متنها السردي أَن يكشف بعض صور التمرُّد حول المجتمع " الدرزيّ " المهيمن عليه مجموعة من الأنماط الثقافية المحافظة ؛ وأن أيَّ خروج على تلك الأنماط السائدة للمجتمع " الدرزيّ " يُعدُّ حسب عرفها الثقافي تمرُّداً عليها وشذوذاً عن المتفق عليه مجتمعياً ؛ لأن المجتمع " الدرزيّ " من المجتمعات التي تحافظ على القيم الاجتماعية بين أعضائها ، وكلَّما زاد ذلك القدر المشترك من تلك المكتسبات " زادت درجة التماسك وتحقق التوازن بين أعضاء الجماعة التي توفر ذلك القدر المشترك بين أعضائها " (عبد السلام ، وآخرون ، ١٩٩٧ : ٣١) .

يستمر التمرد على الأنساق الاجتماعية من خلال مقاطع سردية تفيض بالاختراق الأنثوي للمنظومة الذكورية التي احتوتها ، مقوضة المبادئ الاجتماعية الآسرية التي فرضت عليها من قبل السلطة الذكورية ، ويثبت نزعة هذا المهيمن الثقافي قول الروائية : " **في موقف سيارات الأجرة ، كان هناك بعض الباصات الصغيرة التي تتَّسع لسبعة ركَّاب وبعض السيارات العاديَّة . لم أكن أريد باصاً بل تكسياً خاصاً ، لأنَّ مهمَّتي تحتاج إلى سائقٍ مكرَّسٍ لي وحدي ... كان بعض السائقين من المشايخ الدروز ذوي الشوارب الطويلة والقلنسوات البيضاء والسراويل الفضفاضة السوداء . شيءٌ ما جعلني أبتعد تماماً عن المشايخ وأقصد سيارة مرسيدس بيضاء قديمة في نهاية الموقف ، يجلس سائقها الستّينيّ في مقعده ويضع قدميه خارج السيارة على الأسفلت . كان صوت فيروز يصلني من شباك المقعد المفتوح الذي بجانبه ، ودخان سيجارته يتصاعد من بابه على الناحية الأخرى . أعجبني جوّه العام ومزاجه ، وأحسست أنَّني أريد أن أكون بصحبة شخصٍ بهذا الاسترخاء لأتغلَّب على تشنُّجي.**

– صباح الخير عمُّو . صباح النور يا صبيَّة .

– ممكن توصيلة إلى الجامعة الأمريكية ؟ عالحمرا ؟

– تكرمي بس رح يكلّفك المشوار ثلاثين ألفاً . تكرم عمُّو . موجودين ما يهمّك .

– هذه هي أوَّل رحلةٍ لكِ إلى بيروت من غير زوجكِ المحروس .

كان صوت سائق التاكسي يقطع عليَّ أفكاري بين الحين والأخر .

– من وين حضرتكِ ؟ من ضيعة عينصورة . أجبته باقتضاب .

– والنعم . الأرض عندكم كلّها بركة لأنَّ معظم أهاليها مشايخ . بنت مين قلتيلي ؟

يا إلهي ، كم ترعبني هذه الأسئلة ! لا أعرف لماذا ترعبني . ربَّما لأنَّني أخاف من وشاية أحدهم لأبي وزوجي بقدومي للجامعة دون علمهم " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٧ – ١٠) .

تتحدد من خلال شخصية " أمل بونمر " الممارسات الأنثوية التي تثبت تمردها على المنظومة الذكورية ، وهذا التمرد يتمثل بعدم اخبار السلطة الذكورية – الأب ، والزوج – بذهابها إلى المؤسسة التعليمية الجامعية ؛ لأن ممارسة التعليم وفقاً للمجتمع " الدرزيّ " يُعدُّ من المحظورات الاجتماعية التي مُنعت على افرادها ممارستها " **لأنَّني أخاف من وشاية أحدهم لأبي وزوجي بقدومي للجامعة دون علمهم** " ، وبهذا جسّدت الروائية صورة الأنثى في المجتمعات المغلقة على ذاتها بحكم الهيمنة الذكورية التي تمثل النظام المؤسس لشرعية التفكير والمحتكر للحقيقة المطلقة عبر تفعيل " آليات إنتاج خطابها الخاص الذي يضاعف أفعال التهميش ، ليعلو وينفرد ، ويصادر إمكانات التخصيب والاختلاف ، ليطابق مع نفسه ويتجوهر ، فإن هذه البنية هي التي شطرت الوجود إلى حدين متناقضين ، وشطرت الكائن إلى نصفين متفارقين ، ورسّخت نظرتها إلى الذكورة والأنوثة ، من حيث هما ماهيتان متمايزتان كلّ التمايز ، بل إنّهما متقابلتان على نحو ضدي ، تحوز معه الذكورة خاصيات الفاعلية والعقل والايجاب ، وتنفرد الأنوثة ، على المحور الآخر ، بخاصيات الانفعال والطبيعة والسلب . وعلى أساس من هذا التعارض الكلي أنشأت المنظومة الذكورية بنيانها التراتبي ، وعبّأت رموزه في نسيج خطاب الحقيقة الشامل الذي تتولاه وتقوم عليه " (سليطين ، ٢٠٠٦ : ١٠) ، ومهما يكن من الامر فقد تولّى النسق الثقافي المهيمن صياغة وتوجيه الموقف من المرأة ، وسوّغ استبعاد خطابها عندما أحاله إلى " نتاج النسق التابع في مقابل حضور النسق المسيطر ، وهو هنا نسق الفحولة الذي يمثله الذكر ، وليس للنسق التابع في الثقافة حضور ذاتي مستقل ، فهو لا يحضر إلا بحضور النسق المسيطر " (العجيلي ، ٢٠١١ : ٧٣) .

المبحث الرابع : إثبات الذات وضعفها تجاه المتغيرات الاجتماعية .

تحمل هذه الرواية في ثناياها الكثير من الأنساق الثقافية التي تعكس من خلالها صورة الذات الأنثوية في ظل المهيمنات السلطوية للمجتمع " الدرزيّ " ، وهذه الصورة للذات الأنثوية جاءت تارة ثابتة وقوية وتارة ضعيفة ومستسلمة ، والأول المتمثل بالثبات هو عبارة عن " مدرك ناتج يعبر عن إدراك الفرد لنفسه وعن قدرته على كل ما يقوم به من أعمال وتصرفات تجاه المجتمع ، ويتكون هذا المدرك في إطار حاجات الفرد وخاصة الحاجة إلى الاستقلال والسرية والقبول والنجاح " (فهمي ، ١٩٧٩ : ٢٤٥) ، بمعنى أن الفرد مستقل بذاته وقراراته ورؤياه وفي إدراكه لنفسه وكل ما يقوم به من ممارسات تبنى عليها قوته وقدرته وإثباته (عباسي،بن عربية،٢٠٢٤ : ٦)

، وبهذا تتحدد الذات في " تكوين معرفة منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات يبلورها الفرد ويعدها نفسياً لذاته ، ويكوّن الذات من أَفكار الفرد الذاتية المنسقة المجددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية أو الخارجية " (شحاته ، ٢٠٠٨ : ٢٥) ، لذلك فإن الذات الثابتة هي عبارة عن " مجموعة من الاتجاهات والمعتقدات التي يستند عليها الفرد عندما يواجه العالم المحيط به ، ومن هنا فإن مفهوم الذات يعطي تجهيزاً عقلياً يُعد الشخص للاستجابة طبقاً لتوقعات النجاح والقبول وقوة الشخصية " (بخيت ، ١٩٨٥ : ٦) ، وإنَّ المتابع للمشاهد الخطابية لهذه الرواية يجد أن المرأة تشغل حيزاً كبيراً من خلال التعبير عن واقع الأنثى الحاملة لشعار الإثبات والتحرر من سلطة الخضوع للمهيمنات الذكورية والاجتماعية ، ويتم بذلك إنتاج خطاب يعمل على تغيير البنية الثقافية تقليدية الطابع ، ومحاولة إثبات ذات أنثوية جديدة ، وتتجلى هذه الصورة السردية في قول الساردة " **لم أختبر خوفاً أقسى من ذلك الذي ينتج عن شعوري بالدونيَّة وعدم الاستحقاق . كنت أشعر أنَّ ما أصبو إليه أكبر منّي ومن قدراتي بكثير ، ولكنَّ شيئاً ما في داخلي أصرَّ على أخذ هذا الطريق . كانت الجامعة الأمريكية في نظري أكثر من مجرَّد مؤسَّسةٍ تعليميَّة . كانت عالماً مستقلاً لا تدخله إلَّا إن كنت فائق الذكاء . وكنت أتخيَّل أنَّ جميع من درسوا هناك هم أشخاصٌ استثنائيُّون في قدراتهم العقليَّة والمادية وفي علاقاتهم الاجتماعية . لم أكن أملك شيئاً من هذا سوى الاجتهاد ، ولكنَّني برغم كلّ ذلك ، تواصلت مع الجامعة وجمعت الأوراق المطلوبة ، وعزمت على تقديم طلب لدراسة الليسانس بعد أن منعني زوجي من الالتحاق بالجامعة لسنوات .**

...

– قلت لسالم : لقد قدَّمت طلباً للدراسة في الجامعة الأمريكية ، وحصلت على القبول اليوم .

– نعم ؟ ! ماذا قلتِ ؟ لا بدَّ أنَّكِ تمزحين ، قال ثم أخذ يضحك .

– أنا لا أمزح يا سالم ، وسأدرس هناك مهما كان الثمن .

– متى ذهبتِ ؟ وكيف ؟

...

– هذا ليس نقاشنا يا سالم . لا تبتعد عن الموضوع الذي أفاتحك فيه . سألتحق بالجامعة ، قلت محاولةً أن أبقى قويَّة " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ١١ ، ١٣٢ ، ١٣٣) .

تسلط الروائية الضوء في هذا المثال السردي على الشخصية الأنثوية (أمل بونمر) التي تثبت ذاتها أمام السلطة الذكورية القائمة على الثقافة والقيم الاجتماعية للمجتمع " الدرزيّ " الذي يهمش الأنثى ، وبهذا الاثبات تتحول الذات الأنثوية إلى ذات واعية بقضاياها ، ذات باحثة عن استقلاليتها وطموحها في ظل المهيمنات الاجتماعية البالية التي تنصّب المركز الذكوري سيداً على الذات الأنثوية " **ولكنَّ شيئاً ما في داخلي أصرَّ على أخذ هذا الطريق . كانت الجامعة الأمريكية في نظري أكثر من مجرَّد مؤسَّسةٍ تعليميَّة** " ،

وإنَّ إصرار الذات الأنثوية في ثباتها تجاه السلطة الذكورية أدى إلى كسر أسوار العزلة والصمت " **أنا لا أمزح يا سالم ، وسأدرس هناك مهما كان الثمن ... سألتحق بالجامعة ، قلت محاولةً أن أبقى قويَّة** " ، وهدم سلطة المؤسسات الذكورية التي تسلب حقوق الأنثى ومكانتهن في المجتمع بغية ابقائها خاضعة ، متموضعة في الصفوف الخلفية على كافة المستويات ، بحيث يؤدلج وعيها ويتم اصطباغه بأفكار معينة تستمد مرجعياتها من الثقافة الذكورية والمجتمع ، وتُقرن أدنى أقوالها وحركاتها بالعيب والمحرم ، ما يفرض عليها الشعور بالنقص كلما فكرت في تغيير وضعها الوجودي " (أوراغي ، نعمان ، مج ١٨ ، ع٢ ، ٢٠٢٣ : ٣٠٧) ، لذلك فإن الذات الأنثوية تحولت عبر مسار هذه الرواية التي عبرت عن خصوصية المجتمع " الدرزي " ، ووضع المرأة فيه إلى الثائرة والمنتفضة ضد السلطة الذكورية باثباتها الذاتي ، إذ واجهت شخصية " أمل بونمر " مهيمنات المجتمع المتصلبة التي تكبح صوتها وطموحها وتكبل إبداعها ، وعليه فإن الروائية حرصت من خلال هذه الشخصية الأنثوية على أن تشظي تلك الترسبات الهائلة من التشابكات الدينية والمعرفية للمجتمع ، زيادة على الممارسات الثقافية والاجتماعية والتراكمات التاريخية للسلوكيات والأفكار التي طبعت الوعي الثقافي الذي صقلت عليه المجتمعات ، لا سيَّما أَن السلطة الذكورية في المجتمع تميل إلى الأنساق الاجتماعية القارة وتتخذ منها إطاراً مرجعياً لتسطير وعيها بالفرد الذي يحكمها (فؤاد ، ٢٠٢٠ : ٢١ – ٢٢) .

إنَّ الكشف عن إثبات الذات الأنثوية بمتغيراتها الاجتماعية يبدو جلياً في هذه الرواية من خلال شخصية " أمل بونمر " التي تحقق نوعاً من الثبات والقوة الذاتية تجاه الآخر ، ولكي يكون ما ذُكر أكثر جلاءً يمثل الباحث بقول الروائية : " **للمرَّة الأولى ، شعرت أنّي مستعدَّةٌ للبوح لسالم بكلّ شيء ، للمرَّة الأولى ، لم أكن خائفةً من المواجهة . أحسست أنَّ شراسةً ما قد استيقظت في داخلي ، تشبه شراسة أنثى الذئاب التي قرأت عنها في كتاب عن المعالجة النفسية للنساء عن طريق إخبارهم بأساطير وقصص الجدَّات لتذكيرهنَّ بطبيعتهنَّ المتوحّشة ... قرَّرت ألَّا أختبئ مثلما فعلت مراراً . هذا الاختباء يشعرني أنَّني كالفئران ، يؤمّن شيئاً من الراحة لفترة قصيرة ، ولكنَّ الشعور بالانكسار والذلّ الذي ينجم عنه يحزّ في النفس لأجلٍ غير مسمّى . عندما نامت رحمة ، ذهبت إلى سالم في غرفة الجلوس ... أنا لست مستعدَّةً لأيّ اتّصال جسدي معك .**

– هل هذا اعتراف منكِ بأنَّك لا تحبّينني ؟ اسمع يا سالم .. أنت زوجي وأبو بنتي . ولك عندي كلّ احترام ومودَّة ، ولكن الحبّ الذي أتحدَّث عنه لا يأتي للمرأة وهي في السادسة عشرة من عمرها . لا يمكن للمرأة أن تحبّ قبل أن تتعرَّف على نفسها .

صفَّق سالم لي بيديه ، وقال ساخراً : الآن ، أصبح بإمكانكِ أن تظهري في البرامج الصباحيَّة على التلفزيون ، وتضحكي على النساء بهذا الكلام .

– هذه قناعتي . ولا يعنيني أن أُقنع بها أحداً ...

– نحن لسنا سعداء يا سالم ... أنا أُفكر جديّاً في الطلاق ... ولكنّي نظرت إليه مطوَّلاً ، وقلت له : منذ هذه اللحظة ، لم يعد لك القول . منذ الآن القرار لي .

ساترك البيت في الصباح إذن ، وترك المنزل لم يكن سوى خطوة أولى في سلسلة من الإجراءات التي يجب أن تنجز قبل حصولي على الطلاق .

صعدت إلى التاكسي أريت السائق الخريطة ، وقلت له " قرية عينصورة " ، اصبحت على مقربة من القرية ، بدأت أمارس تمارين تنفس كي تساعدني على الثبات والقوة .

كان من المفترض أَن يصل أَقرباء سالم بعد نصف ساعة فوجدت أبي منتظراً الضيوف ... أخبرت أبي : طلبي هو الانفصال الودي عن سالم ، ألن تُعيدي النظر في قرارِكِ ؟ لا .

وقعنا الأوراق في النهار نفسه عند كاتب العدل ، عند هذه المرحلة أدركت ذاتي وقوتي وثباتي تجاه الآخرين " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٢٨٥ – ٣٠٩) .

في هذا التمثل الثقافي تركز الروائية على الشخصية الأنثوية " أمل بونمر " التي تتَّخذ من ظاهرة " الطلاق " مهيمناً ثقافياً للإثبات الذاتي وبوحاً بمعاناتها تجاه المركز الذكوري ، وهذا الإثبات الذاتي جعلها في مواجهة مع زوجها " سالم " من خلال طلبها للانفصال عنها نتيجة عدم توافر عناصر الحب والسعادة في حياتها " **نحن لسنا سعداء يا سالم ... أنا أُفكر جديّاً في الطلاق** " ، ولهذا فإن رفض الآخر الذي تتخذه الذات الأنثوية وسيلة لإثبات ذاتها ومقاومة أوضاع حياتية غير متكيفة لها في محيطها ومجتمعها محاولة تغييرها والاستبدال بها أوضاعاً أخرى أكثر سعادة وإنْ تعارضت مع الثوابت الاجتماعية كسلطة الأب " **أخبرت أبي : طلبي هو الانفصال الودي عن سالم ، ألن تُعيدي النظر في قرارِكِ ؟ لا** " ، فالإثبات الذاتي في موقفها يترجم للقارئ أَنَّ الشخصية الأنثوية " أمل بونمر " لم تكن حبيسة الصمت إذ يكشف خطابها عن ممارسة شكلٍ من أَشكال التعبير تضمر وظيفة الرفض للمهيمنات السلطوية في المجتمع ، لذلك فإنَّ هذه اللقطة المشهدية التي تحمل في طياتها إثباتاً للذات الأنثوية تعطي " الثقة التي يجعلها الفرد في نفسه وهي التي يبنى عليها قوته وقدرته بمعنى أَن مفهوم الذات على هذا النحو يعمل دافعة لسلوك الفرد " (عبد الرؤوف ، ٢٠١٨ : ١٠) .

أما فيما يخص التمثل الثقافي الثاني الموسوم بالضعف أو انهزامية الذات الأنثوية " أمل بونمر " فإنها تتمظهر من خلال حوارها الداخلي الذي جسّد خوفها وضعفها الذاتي ، ومما يحلينا إلى هذا التمظهر الثقافي قول الساردة : " **قال السائق توكلنا على الله ، وأدار المفتاح فارتفع صوت المحرك القديم ووصلت رائحة دخان العادم إلى أنفي ، فشعرت بدوخةٍ خفيفةٍ ، وألقيت برأسي على الزجاج .**

مررنا بسوق " عاليه " الرئيسيّ وأنا أنظر من النافذة . شعرت أنَّ المدينة تمرّ من أمامي على شاشة ، ولست أنا من يمرّ بها . أعرف هذه المدينة شبراً شبراً ؛ معرفةً فيها الكثير من الألفة والأمان ، ولكنَّها معرفةٌ تجعل المدينة مملَّةً ومتوقّعةً لدرجةِ تبعث على الموت ، فالميت وحده لا يتغيَّر .

حين وصلنا التقاطع في آخر سوق عاليه وبدأنا انحدارنا نحو الساحل ، أخذت معدتي بالانقباض وبدأ الغثيان يزداد . كانت التفافات الطريق كثيرةً وكذلك أفكاري ومخاوفي . عشرات السناريوهات كانت تدور داخل رأسي " يا إلهي ، كم أنا غبيَّة ! كيف أقدم على خطوة كهذه ؟ " ، " لم أجلب لنفسي سوى الشماتة أو التوبيخ " ، " الجامعة الأميركية مرَّة واحدة ؟ ! على أساس أنا بنت خرُّوم بيك رح يقبلوني ! أنا مش عارفي وين موقعها على الخريطة للجامعة ! " ثم يأتي صوتي المنطقيّ ليقول : " أنتِ مجرَّد فتاةٍ عاديَّة ، لن يستوقف مظهرك أحدٌ ولن يُدرك أحدٌ حجم المخاوف المحشورة داخل هذا الجسد النحيل . لا أحد يدري أنَّكِ لا تعلمين شيئاً .

استمرَّت السيارة في انحدارها نحو بيروت ، وبدأت زحمة السيارات والشاحنات تزداد ، وكذلك عيون الركاب المحدّقة بي من الباصات إلى داخل السيارة . شعرت أنَّ كلّ العيون تسخر منّي وتستهزئ بقدرتي على الحلم والتخيُّل . صرت أُسقِط موقفي من نفسي على جميع من ألتقي بهم وكأنَّ صوتي الداخلي الذي لا يكفّ عن تحطيمي لا يكفي " (الصَّايغ ، ٢٠٢٤ : ٩ – ١١) .

حضرت الذات الأنثوية " أمل بونمر " في هذا الشاهد السردي ضعيفة ومستسلمة تجاه الواقع ، وقد صوّرت الروائية ذلك الضعف والوهن والاستسلام من خلال اللقطات السردية " **كانت أفكاري ومخاوفي تدور داخل رأسي ، كم أنا غبيَّة ! على أساس أنا بنت خرُّوم بيك رح يقبلوني ، وكأنَّ صوتي الداخلي الذي لا يكفّ عن تحطيمي لا يكفي** " ، تلك الجمل النسقية تكشف عن التوتر بين الذات الأنثوية الضعيفة " أمل بونمر " والعالم المحيط بها ، فهي تريد أن تعبر عن ضعفها في مواجهة العالم والحياة من حولها ، وبهذا تأخذ الذات الأنثوية ضعفاً وخوفاً مزدوجاً ، فهي تحيل إلى الإنسان " الفرد " من جهة ، والمجتمع بأسره من جهة ثانية ، إنها ذات شديدة الارتباط بتمثلات المجتمع وتناقضاته وأزماته ، لذلك تصور الساردة ذاتاً إنسانية تعاني إحباطاً شديداً ويأساً لامتناهياً ، بل يمكن القول إن أحد أهم مآزق بطلة الرواية " أمل بونمر" هو التمزق الذاتي وعدم قدرتها على فهم ذاتها والتكيف مع واقعها ، هذا ما عبرت عنه بقولها: " **عشرات السناريوهات كانت تدور داخل رأسي " يا إلهي** " ، فضلاً عن هذا فإن لجوء الروائية " حنين الصَّايغ " إلى تلك الأنماط من الشخصيات الأنثوية في فضائها السردي يتبيَّن لنا أن السرد النسوي نمط من الكتابات السردية التي تتَّخذ من الفن منطلقاً للتعبير عن جدل الذَّات مع الواقع ، هاربة من الكائن إلى واقع ينبغي أَن يكون حتى ولو في المتخيَّل السردي(المسعودي ، ٢٠١٤ : ١٧١) .

الخاتمة :

بعد هذه الجولة في رحاب رواية " ميثاق النساء " نثبت من خلالها مجموعة من النتائج التي نجملها في النقاط الآتية :

١- رواية " ميثاق النساء " رواية واقعية ؛ لأَن الروائية " حنين الصَّايغ " صوّرت فيها قضية الواقع المعيشي للذات الأنثوية من خلال شخصية " أمل بونمر " التي كانت تمثل لسان حال المرأة في المجتمع " الدرزيّ " .

٢- كان للنسق الديني الأثر البارز في المنظومة الاجتماعية للمجتمع " الدرزيّ " ، لذلك شكل هذا النسق ظاهرة ثقافية بارزة من خلال تمثلاته المختلفة في فضاء النص .

٣- حاولت الروائية من خلال لقطاتها المشهدية لمتن النص السردي أن تنقل للقارئ معاناة المرأة في المجتمع " الدرزيّ " بفعل المهيمنات الدينية والاجتماعية القارة عبر لغة تحتكم إلى البعد الواقعي والنفسي .

٤- إنَّ تمرد الشخصيات الأنثوية على الأنساق الثقافية القارة " الدينية ، والاجتماعية " جاءت نتيجة ممارسات السلطة الذكورية التي أخذت من هذه الأنساق أداة تتحجج بها من أجل إحكام سيطرتها على المرأة .

٥- تسعى هذه الرواية إلى كشف المضمر والمسكوت عنه ، وتعرية وفضح الحقيقة ، حقيقة الظلم الاجتماعي للمرأة في المجتمع " الدرزيّ " ، وما يلحقها من آلام وتعذيب ، إنَّها رواية سيرة الألم على لسان الشخصية الأنثوية " أمل بونمر " .

٦- يبدو للقارئ أَن تباين الذات الأنثوية بين الثبات والضعف في مواقفها وممارساتها تجاه الأنساق الثقافية كانت بسبب الافرازات الاجتماعية للمجتمع " الدرزيّ " الذي يتحكم في الفرد .

٧- تُعدُّ رواية " ميثاق النساء " من الروايات النموذجية التي تعبر عن عمق البيئة الريفية لقرية " عينصورة " الخاصة بالمجتمع " الدرزيّ " بكل تمفصلاتها الثقافية مثل الطقوس الدينية ، والقيم الاجتماعية ، والعادات والتقاليد لافراد هذه القرية .

المراجع العربية :

- أبو إسماعيل ، سليم (١٩٥٢) ، " الدرزيُّ وجودهم ومذهبهم وتوطنهم " ، ط١ ، مؤسسة التاريخ الدرزيّ ، بيروت ، لبنان .
- أحمد ، د . سمير نعيم ، (د . ت) ، " النظرية في علم الاجتماع (دراسة نقدية) " ، (د . ط) ، دار الهاني للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر .
- استيتية ، دلال ملحس (٢٠٠٨) ، " التغير الاجتماعي والثقافي " ، ط٢ ، دار وائل ، عمان.
- أوراغي ، صارة ؛ نعمان ، عزيز (٢٠٢٣) ، " الذات الأنثوية بين رغبة الباطن وعنف الخارج في الرواية الأمازيغية ، رواية (ثيزيري TIZIRI) لزهرة أودية أنموذجاً " ، مجلة الخطاب ، جامعة مولود معمري تيزي – وزو ، الجزائر ، مجلد ١٨ ، عدد ٢ .
- بخيت ، عبد الرحمن (١٩٨٥) ، " استبيان تقدير الذات " ، ط١ ، دار حواء ، القاهرة .
- جميل ، د . حنان محمود (٢٠٢٢) ، " الشخصية المتمردة في الرواية النسوية العراقية في نماذج مختارة (٢٠٠٣ – ٢٠١٣) " ، ط١ ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- حسين ، د . محمد كامل (١٩٦٢) ، " طائفة الدروز تاريخها وعقائدها " ، ط١ ، دار المعارف ، مصر.
- دياب ، فوزية (٢٠١٠) ، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية " ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- ذكي ، كريم (٢٠١٠) ، " اللغة والثقافة دراسة أنثرو لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية " ، (د . ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- رمزي ، ناهد (٢٠٠١) ، " المرأة والإعلام في عالم متغير " ، (د . ط) ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت .
- سليطين ، وفيق (٢٠٠٦) ، " الكتابة السالبة من المتابعة إلى الحوار " ، ط١ ، دار الحوار ، سورية .
- سويقات ، زهية ؛ شبوعات ، هاجر (٢٠٢٠) ، " الأنساق المضمرة في رواية (المستنقع للمحسن بن هنية) " ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة .
- شحاتة ، حسن (٢٠٠٨) ، " الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات وإشكاليات " ، ط١ ، دار العالم العربي ، القاهرة .
- الشكعة ، د . مصطفى (١٩٩١) ، " إسلام بلا مذهب " ، ط٨ ، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر ، القاهرة .
- الصَّايغ ، حنين (٢٠٢٤) ، " ميثاق النّساء " ، (ط٢) ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت .

- عباسي ، سهام ؛ بن عربية ، سلطان (٢٠٢٤) ، " الذات الأنثوية وابعادها النفسية في رواية (لا تشبه ذاتها) لليلى الأطرش " ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة عباس لغرور ، خنشلة ، الجزائر.
- عبد الرؤوف ، عامر طارق (٢٠١٨) ، " مفهوم وتقديم الذات " ، ط١ ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، القاهرة .
- عبد السلام ، فاروق سيد ؛ وآخرون (١٩٩٧) ، " علم النفس الاجتماعي " ، (د . ط) ، مكتبة دار جدة ، جدة .
- العجيلي ، شهلاء (٢٠١١) ، " الخصوصية الثقافية في الرواية العربية " ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة .
- الغذامي ، د . عبد الله محمد (٢٠٠٥) ، " النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية " ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء .
- الغذامي ، د . عبد الله محمد (٢٠٠٦) ، " المرأة واللغة " ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء.
- فرايزر ، جيمس جورج (٢٠١٤) ، " الغصن الذهبي دراسة في السحر " ، ترجمة : نايف الخوص ، (ط١) ، دار الفرقد ، دمشق .
- فهمي ، مصطفى (١٩٧٩) ، " التوافق الشخصي والاجتماعي " ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
- فؤاد ، أماني (٢٠٢٠) ، " المرأة .. ميراث من القهر " ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة .
- كاظم ، د . نادر (٢٠١٤) ، " تمثلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط " ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- كامو ، ألبير (١٩٨٣) ، " الإنسان والتمرد " ، ترجمة رضا نهاد ، ط٣ ، منشورات عويدات ، بيروت .
- لومان ، نيكلاس (٢٠١٠) ، " مدخل إلى نظرية الأنساق " ، ترجمة : يوسف فهمي حجازي ، ط١ ، منشورات الجمل ، بغداد .
- المسعودي ، أحمد موسى ناصر (٢٠١٤) ، " الأنساق الثقافية في تشكيل صورة المرأة (في الرواية النسائية السعودية) " ، ط١ ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان .
- النعيمي ، حسن (٢٠١٣) ، " بعض التأويل (مقاربات في خطابات السرد) " ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء .
- النكدي ، عارف وآخرون (١٩٦٢) ، " الواقع الدرزيّ وحتمية التطور (مجموعة محاضرات لبعض المفكرين من الدروز " ، ط١ ، منشورات رابطة العمل الاجتماعي ، بيروت .
- واصل ، عصام (٢٠١٩) ، " الرواية النسوية العربية ، سلطة المركز وتمرد الهامش " ، مجلة الآداب ، كلية الآداب ، جامعة بخمار ، اليمن ، عدد ١١ .

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- Abu Ismail, Salim (1952), "The Druze: Their Existence, Sect, and Settlement," 1st ed., Druze History Foundation, Beirut, Lebanon.
- Ahmed, Dr. Samir Naeem, (n.d.), "Theory in Sociology (A Critical Study)", (n.d.), Dar Al-Hani for Printing, Publishing and Distribution, Egypt.
- Istitieh, Dalal Malhas (2008), "Social and Cultural Change", 2nd ed., Wael Publishing House, Amman.
- Ouraghi, Sara; Noman, Aziz (2023), "The female self between inner desire and outer violence in the Amazigh novel, the novel (TIZIRI) by Zahra Oudi as a model", Al-Khattab Magazine, Mouloud Mammeri University, Tizi-Ouzou, Algeria, Volume 18, Issue 2.
- Bakhit, Abdul Rahman (1985), "Self-Esteem Questionnaire", 1st ed., Hawa Publishing House, Cairo.
- Jamil, Dr. Hanan Mahmoud (2022), "The Rebellious Character in the Iraqi Feminist Novel in Selected Models (2003-2013)", 1st ed., Arab Foundation for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon.
- Hussein, Dr. Muhammad Kamil (1962), "The Druze Sect, Its History and Beliefs," 1st ed., Dar Al-Maaref, Egypt.
- Diab, Fawzia (2010), Social Values and Customs with Field Research on Some Social Customs, 1st ed., Dar Al Nahda Al Arabiya, Beirut.
- Zaki, Karim (2010), "Language and Culture: An Anthro-Linguistic Study of Words and Kinship Relations in Arab Culture," (n.d.), Egyptian General Book Authority, Cairo.
- Ramzi, Nahed (2001), "Women and the Media in a Changing World", (n.d.), Dar Al-Masryia Al-Lubnaniyya, Beirut.
- Sulaytin, Wafiq (2006), "Negative Writing from Follow-up to Dialogue", 1st ed., Dar Al-Hiwar, Syria.
- Souikat, Zahia; Shabouat, Hajar (2020), "The Implicit Patterns in the Novel (The Swamp by Mohsen Ben Hania)", Master's Thesis, Faculty of Arts and Languages, University of Kasdi Merbah, Ouargla.
- Shahata, Hassan (2008), "The Self and the Other in the East and the West: Images, Connotations, and Problems," 1st ed., Dar Al-Alam Al-Arabi, Cairo.
- Al-Shakaa, Dr. Mustafa (1991), "Islam without a Sect," 8th ed., The Egyptian-Lebanese House for Printing and Publishing, Cairo.

- Al-Sayegh, Hanin (2024), "Women's Charter", (2nd ed.), Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut.
- Abbasi, Siham; Ben Arabiya, Sultan (2024), "The female self and its psychological dimensions in the novel (She Does Not Resemble Herself) by Laila Al-Atrash", Master's thesis, Faculty of Arts and Languages, Abbas Laghrour University, Khenchela, Algeria.
- Abdul Raouf, Amer Tariq (2018), "The Concept and Presentation of Self", 1st ed., Dar Al-Ulum for Publishing and Distribution, Cairo.
- Abdul Salam, Farouk Sayed; and others (1997), "Social Psychology", (n.d.), Dar Jeddah Library, Jeddah.
- Al-Ajili, Shahla (2011), "Cultural Privacy in the Arab Novel", 1st ed., The Egyptian-Lebanese House, Cairo.
- Al-Ghadami, Dr. Abdullah Muhammad (2005), "Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Systems", 1st ed., Arab Cultural Center, Casablanca.
- Al-Ghadami, Dr. Abdullah Muhammad (2006), "Women and Language", 1st ed., Arab Cultural Center, Casablanca.
- Fraser, James George (2014), "The Golden Bough: A Study in Magic", translated by: Nayef Al-Khous, (1st ed.), Al-Farqad Publishing House, Damascus.
- Fahmy, Mustafa (1979), "Personal and Social Compatibility", 1st ed., Al-Khanji Library, Cairo.
- Fouad, Amani (2020), "Women... A Legacy of Oppression", 1st ed., The Egyptian-Lebanese House, Cairo.
- Kazem, Dr. Nader (2014), "Representations of the Other: The Image of Black People in the Medieval Arab Imagination," 1st ed., Arab Foundation for Studies and Publishing.
- Camus, Albert (1983), "Man and Rebellion", translated by Reda Nihad, 3rd ed., Awidat Publications, Beirut.
- Luhmann, Niklas (2010), "Introduction to Systems Theory", translated by: Youssef Fahmy Hijazi, 1st ed., Al-Jamal Publications, Baghdad.
- Al-Masoudi, Ahmed Musa Nasser (2014), "Cultural Patterns in Shaping the Image of Women (in the Saudi Women's Novel)", 1st ed., Arab Diffusion Foundation, Beirut, Lebanon

- Al-Naimi, Hassan (2013), “Some Interpretations (Approaches to Narrative Discourses)”, 1st ed., Arab Cultural Center, Casablanca.
- Al-Nakadi, Arif and others (1962), “The Druze Reality and the Inevitability of Development (A Collection of Lectures by Some Druze Thinkers), 1st ed., Publications of the Social Work Association, Beirut.
- Wasil, Issam (2019), “The Arab Feminist Novel, the Authority of the Center and the Rebellion of the Margin,” Journal of Arts, Faculty of Arts, Bakhmar University, Yemen, Issue 11.